صورة المرأة الإفريقيّة المسلمة في روايّة "لا تقولي إنّك خائفة" لجوزيه كاتوتسيلا

The Image of the African Muslim Woman in the Novel "Don't Say You're Afraid" by Giuseppe Catozzella

ط. د. فتيحة لقدر ♥

د. صليحة سبقاق♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-002-010

تاريخ الاستلام: 16-09-2024 تاريخ القبـول: 25-11-2024 تاريخ النّشر: 15-06-2025

ملخّص: تحاول هذه الورقة البحثيّة الوقوف على إشكاليّة حضور الأنا الإفريقيّ في أدب الآخر الغربيّ من خلال رصد صورة المرأة الإفريقيّة المسلمة في روايّة "لا تقولي إنّك خائفة" للرّوائيّ الإيطاليّ "جوزيه كاتوتسيلا"، وتحديد ملامحها الفكريّة والفنيّة في هذه الرّوايّة الغربيّة المترجمة في ظلّ الحروب واضطراب الأوضاع الاجتماعيّة والسّياسيّة، والصّراع الطّائفيّ والدينيّ الذي عرفه المجتمع الصّومالي.

♥ جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، البريد الإلكتروني: fatiha.lagder@univ-biskra.dz (المؤلّف المرسل).

♥ جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، البريد الإلكتروني: saliha.sebgag@univ-biskra

تبيّن الدراسة رؤيّة جوزيه كاتوتسيلا للأفارقة عامة وللمرأة المسلمة الصّوماليّة خاصّة والتي تسعى من خلال الهجرة لتحقيق أحلامها وتغيير واقعها البائس، في الرّوايّة المختارة ولتكون نموذجا للتّحدّي والمقاومة.

كلمـات مفتاحيّـة: الصّـورة؛ الأنـا؛ الآخـر؛ المـرأة الإفريقيّـة؛ المسـلم؛ جوزيـه كاتوتسيلا.

Abstract: This research paper attempts to identify the problem of the presence of the African ego in the literature of the Western Other by monitoring the image of African Muslim women in the novel Don't Say You're Afraid by the Italian novelist Giuseppe Catozzella, and identifying their intellectual and artistic features in this translated Western novel in light of wars, social and political turmoil, and sectarian and religious conflict that Somali society has witnessed.

The study shows Giuseppe Catozzella's vision for Africans in general and Somali Muslim women in particular, who seek through migration to achieve their dreams and change their miserable reality in the chosen novel, and to be a model of challenge and resistance.

Keywords: The image; the ego; the other; the African woman; the Muslim; "giuseppe catozzella".

1. مقدّمة: تعدّ الرّوايّة من أكثر الفنون قدرة على التّعبير عن الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة والدينيّة والثّقافيّة، لذا تعتبر من أهمّ مصادر "الصّورة" في الأدب عامة، وقضيّة صورة الآخر قضيّة حضاريّة حسّاسة جدّا، والرّوايّة الغربيّة مثلها مثل العربيّة لم تخل من هذا البعد، وتعدّ دراسة صورة الآخر في المجال الأدبيّ مجالا مهمّا في الدراسات الأكاديميّة؛ وتناول صور الآخر

مختلف فقد يكون إيجابيّا، كما قد يكون سلبيّا، حسب إيديولوجيّة الكاتب ومرجعيّته، ودرجة وعيه، ورؤيته للآخر، وتناول صورة الصّوماليين والأفارقة عامة، وحالة المرأة الصّوماليّة المسلمة خاصّة، والتي تقدّمها الرّوايّة الغربيّة تكون في الكثير من الأحيان صورة سلبيّة، تحمل العداء للأفارقة والمسلمين بدعوى التّشدّد والتّخلّف وغيرها...، حتّى وإن زيّنت بمبادئ الإنسانيّة، والدعوة إلى السّلام، والحريّة، أمّا صورة الغرب، فغالبا ما ترتبط بالتّحضّر والإنسانيّة وهذا ما سنحاول معالجته من خلال الرّوايّة الأنموذج التي اخترناها "لا تقولي إنك خائفة للإيطاليّ جوزيه كاتوتسيلا"، من خلال موضوعنا هذا، إذ تتمحور إشكاليّة الورقة البحثيّة حول صورة الآخر وكيفيّة تصوير الشّخصيات النّسائيّة الإفريقيّة المسلمة في الأدب الغربيّ، وكيف يتمّ تمثيل تجاربهنّ وطموحاتهنّ وآمالهنّ وهويتهنّ في الرّوايات، ومن هنا، نطرح الأسئلة الآتيّة: كيف تمّ تصوير المرأة الإفريقيّة المسلمة في الأدب الغربيّ عامة وفي روايّة "لا تقولي إنك خائفة" خاصّة؟، وهل تمثّل الرّوايّة المختارة تنوّعاً في تجسيد صور النّساء الإفريقيات المسلمات؟، وهل تقدّم الرّوايّة صورة متوازنة ومتعدّدة الأبعاد للمرأة الإفريقيّة المسلمة، أم أنّها تعتمد على صورة محدّدة واحدة؟، وما هي التّحدّيات التي تواجه النّساء الإفريقيات المسلمات في الرّوايّة؟ وهل ترتبط هذه التّحديات بدينهنّ أو بثقافتهنّ؟، وفيم تتمثّل رؤيّة الكاتب الأيديولوجيّة في تصويره للشّخصيات الإفريقيّة والصّوماليّة عامة، والمرأة الإفريقيّة المسلمة المهاجرة خاصّة؟، كيف تجلّت صورة الآخر في الرّوايّة الغربيّة؟، وما هي الصّورة التي رسمها الكاتب للمرأة الإفريقيّة المهاجرة؟

تسعى هذه الورقة البحثيّة إلى الإجابة عن هذه التساؤلات، مستخدمة المنهج الوصفيّ التّحليليّ وبعض آليات المنهج المقارن أثناء تحليل الشّخصيات ووصفها، ومقارنتها بالصّور والنّماذج الغربيّة التي أدرجت في الرّوايّة، وقد تعمّدنا عدم الفصل بين الشّخصيات لأنّها في الرّوايّة مرتبطة بشخصيّة رئيسيّة

وهي البطلة ساميّة التي كانت العنصر الفعّال الذي يحرّك الأحداث ويكوّن لنا تلك الصّورة التي نسعى إلى كشفها من خلال عرضنا لأحداث الرّوايّة، بغيّة فهم التّأثير الثّقافي والدينيّ واللّغويّ على صورة النّساء الإفريقيات المسلمات عامة، وعلى المرأة الإفريقيّة المسلمة المهاجرة خاصّة، باعتبار أنّ البطلة التي انطلق منها الرّوائيّ الإيطاليّ "جوزيه كاتوتسيلا " هي "ساميّة" وهي مستمدّة من حكايّة واقعيّة مرتبطة بالعدّاءة الصّوماليّة "ساميّة يوسف عمر" وذلك لكشف معاناة النّساء الإفريقيات المسلمات، وأحلامهنّ مع الوقوف على السّياق الثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ والدينيّ الذي أفرز هذه الرّوايّة، ودراسة تفاعلاتهنّ مع الإسلام والتّقاليد الثّقافيّة الإفريقيّة في سياق الرّوايّة، وتوفير رؤى عميقة حول كيفيّة تمثيل المرأة الإفريقيّة المسلمة في الرّوايّة الغربيّة، وكيفيّة تأثير هذه التّمثيلات على القرّاء والمجتمعات الثّقافيّة المختلفة.

2. صورة الآخر الإفريقي المسلم : تعد دراسة الصّورة جزءًا مهمًّا وجوهريّا في الأدب المقارن، إنّه الجزء الذي أثار ضجّة واسعة بين مؤيّد ومعارض، لا سيما في سنوات السّتينات، وإذا تمعّنا قليلا في مفهوم كلمة " الصّورة" نجدها ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم كلمة "المرآة" التي تعرّف بأنّها: "سطح يعكس كلّ ما يقوم أمامه" (تيسمبال، 2022: 127)، فالمرأة تعكس لنا العديد من الجوانب في المجتمع، إذ هي مرآة عاكسة لمختلف التّحولات الاجتماعيّة والتّاريخيّة والثّقافيّة والدينيّة، وهي بؤرة الإلهام، تحمل لنا تجارب إنسانيّة عميقة، والصّورة "تعبير أدبيّ أو غيره يشير الى تباعد بين نظامين من الواقع الثّقافيّ، كما أنّها إعادة تقديم لواقع ثقافيّ مختلف؛ يكشف فيه الفرد أو الجماعة الذين شكّلوه أو الذي يتقاسمونه أو ينشرونه عن تأويل لفضائهم الاجتماعيّ، والثّقافي والأيديولوجيّ الخاص الذي يتموضعون داخله عند عمليّة تقديم الآخر" (تيسمبال، 2022: 128) فالصّورة في مجال الأدب نوع من التّعبير الأدبيّ الذي يبيّن الاختلافات الموجودة بين مجتمعين في النّظام الثّقافيّ والديني

واللّغويّ وفي القيم والعادات والتّقاليد، ويظهر هذا الاختلاف في ممارسات الأفراد في الواقع الاجتماعيّ والثّقافيّ والأيديولوجيّ.

أمّا مفهوم الغير أو الآخر: فيتّخذ دلالة تنحصر في الآخر المتميّز عن الأنا الفرديّة أو الجماعيّة، وتكون أسباب هذا التّميز إمّا ماديّة جسميّة، وإمّا عرقيّة أو حضاريّة أو فروقًا اجتماعيّة أو طبقيّة، ومن هذا المنطلق، ندرك أنّ مفهوم الغير في الاصطلاح الشّائع يتحدّد بالسّلب، لأنّه يشير إلى ذلك الغير الذي يختلف عن الذّات ويتميّز عنها، وفي الدلالة المعجميّة الفرنسيّة، يلاحظ بعض التّمييز بين مصطلحي: الغير (Autrui) والآخر (L'autre) ، حيث يتّخذ مفهوم الآخر مفهوما أوسع؛ يفيد كلّ ما يختلف عن الموضوع والذّات فيشمل الاختلاف كذلك مستوى الأشياء، أمّا مفهوم الغير، فهو تضييق لمعنى الآخر حيث يحصره في مجال الإنسان فقط، ويقصد به النّاس الآخرين (شحاتة 2008: 17) فمفهوم الغير أو الآخر عموما يستخدم للدّلالة على الأفراد الذين يختلفون عن الذات الفرديّة أو الجماعيّة لعوامل مختلفة كالجنس والدين واللّغة والطّبقة الاجتماعيّة وغيرها، ونستنتج من القول السّابق الفرق بين مفهوم الغير والآخر رغم اتّفاقهما في مبدأ الاختلاف بين الأنا والآخر، إلّا أنّ مفهوم الآخر يتّخذ معنى أوسع من الغير، فمصطلح الآخر لا يشير فقط إلى الإنسان بل يتعدّاه إلى الاختلاف الموجود بين الذّات والموضوع، ويشمل الاختلاف مجالات عديدة، ومستوى الأشياء، بينما مصطلح الغير يقف عند حدود الإنسان والاختلاف الموجود بينه وبين الآخر، و"بين الأنا والآخر امتدادات طويلة وتعتبر إرادة الهيمنة مسوّغها، فكلّ حضارة راقيّة تنشئ علاقة تراتبيّة أو هرميّة تستعبد من خلالها ما عداها من الثّقافات المهمّشة لتنفرد بالتّفوق والقوّة ". (كنتاوي، 2022: 42).

ولو عدنا إلى موضوع صورة المسلمين عامّة والأفارقة المسلمين خاصّة لوجدنا أنّ هذا الموضوع خاصّة الإسلام أخذ حيّزًا كبيرًا في مجال الإبداع

الغربيّ، وتعدّدت هذه الصّور، لكنّ معظمها يصبّ في رؤيّة أيديولوجيّة معاديّة للإسلام والمسلمين، رغم أنّها في ظاهرها تدعو إلى القيم الإنسانيّة وتبحث عن حريّة المرأة، وتكشف عن حرمانها، وتعاسة الشّعوب الإفريقيّة عامّة، هذه الصّورة البائسة يكاد يتّفق عليها الأدباء الغربيون، رغم كون بعضهم يظهرون بمظهر المدافع عبر لغة السّرد، وأقوال الشّخصيات وطريقة تصويرهم، وكثيرا ما تتضّح لنا هذه الصّور من خلال فعل المقارنة بين الغرب والمسلمين، وسنرى من خلال المدوّنة المختارة مدى قدرة الرّوائيّ عن الكشف عن صور المرأة الصّوماليّة المسلمة في الواقع، وعن الخلفيّة الأيديولوجيّة التي تجلّت ملامحها عبر عناصر العمل الرّوائيّ.

وقد تعزّزت الصّورة النّمطيّة للمسلمين في ثقافة الأوروبيين المعاصرة وأدخلت مواصفات هذه الصّورة السّلبيّة في وسائل الإعلام والثّقافة، وصارت قيماً جديدة تهيمن على الثّقافة الأوروبيّة والفكر الأوروبيّ، المعاديّة للآخر المسلم، وبدءاً من ثمانينيات القرن العشرين دخل عامل جديد في تأكيد هذه الصّورة النّمطيّة السّلبيّة، التي تمّ رسمها خلال الألف عام الماضيّة، وهذا العامل هو الإرهاب، حيث مارست مجموعات عربيّة إسلاميّة إرهاباً أعمى داخل البلدان العربيّة وخارجها، وضدّ الأوروبيين خاصّة، ودون أن يدرس الأوروبيون أسباب الإرهاب وظروفه، أظهروا صورة بشعة للمسلمين على أنّهم مجموعة من المتخلّفين المتعصّبين الهمجيين، سعيا منهم لتشويه صورة الإسلام الذي وصفوه بأنّه دين تعصّب، وإرهاب وعدوان واعتداء، وبالغ الغرب في عرض موقف الإسلام من المرأة، وحاول تأكيد فكرة أنّه يسلبها حرّيتها وحقوقها وقد استغلّ الغرب مسألة تواجد عدد كبير من المهاجرين المسلمين في المجتمعات الأوروبيّة، مع بطء تأقلمهم مع المجتمعات التي يعيشون فيها وتمثّلهم قيمها، لتزداد عداؤها للعرب والمسلمين ويزداد تشويه صورتهم لدى

الرّأي العام الأوروبي، (العودات، 2014: 18) وكلّ هذه المظاهر انعكست في معظم إبداعاتهم الأدبيّة.

وقد كثرت هذه النّظرة السّلبيّة وتزايدت في السّنوات القليلة الماضيّة، منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م، إذ أصبحت العمليات الإرهابيّة والجرائم مقترنة بالعرب والمسلمين عند الغرب، وانتشرت بذلك ظاهرة ثقافة الخوف من الإسلام هذا الدين الذي تمّ تصويره وتقديمه للرّأي العام من قبل الصّناعات الإعلاميّة والثّقافيّة على أنّه دين القتل والعنف والإقصاء، وعلى أنّه دين غير متسامح كما استهدفت حملات إعلاميّة ودعائيّة مغرضة ومضلّلة عديدة ضدّ الدين الإسلاميّ من خلال التّخويف من الإسلام والمسلمين، والتّحريض ضدّهم، ولقد اهتزّت صورة الإسلام في السّنوات الأخيرة في الرّأي العام الدوليّ بصورة خطيرة جدّا، أسهمت في العديد من المرّات في اتّخاذ مواقف معاديّة وسلبيّة ضدّ الشّعوب الإسلاميّة، (شحاتة، 2008: 33) وهكذا تأثّرت الرّوايّة الغربيّة عامّة بهذه الرّؤيّة وبيّنت في كثير من الأحيان صورة المسلم مرتبطة بهذا النّمط السّلبيّ المشوّه البعيد كلّ البعد عن حقيقة الإسلام والمسلمين في أيّ مكان.

3. صورة المرأة الإفريقيّة المسلمة في روايّة "لا تقولي إنّك خائفة": روايّة الكاتب الإيطاليّ جوزيه كاتوتسيلا "لا تقولي إنّك خائفة "قد وقفت عند نموذج إنساني واقعيّ الملامح بالغ الطموح، يتميز بالإيجابيّة في السّلوك والفكر والمشاعر والأحاسيس، يتمثّل في الصّغيرة ساميّة، وهي تحارب من أجل أن تصير بطلة أولمپيّة في الجري لتمثّل بلدها، وتكون أداة للدّعوة إلى الحرّيّة والسّلام في بلدها، (الحمامصي، 2021) فالرّوايّة تتحدّث عن الوضع المزري الذي تعانيه مدينة مقديشو، وبلاد الصّومال عامة، بفعل الصّراعات الداخليّة والحروب الأهليّة التي لا تنتهي، وتنطلق أحداثها من الواقع، وبالتّحديد من قصّة العدّاءة الصّوماليّة ساميّة يوسف عمر (1991م–2012م)، ومن وضع عائلتين من عشيرتين مختلفتين متناحرتين؛ تعيشان في بيتين متقابلين وتربطهما

المحبّة والأخوّة بمقديشو، ويعود ذلك التّرابط المتين لكونهما ترعرعتا معا في قريّة "الجزيرة"؛ جنوب المدينة، وقد اهتمّ الرّوائيّ بعلاقة الأخوّة التي تجمع بين ساميّة، وعلي؛ رغم أنّهما من عائلتين مختلفتين، فأبجال قبيلة ساميّة بشرتها فاتحة، أمّا قبيلة علي وهي دارود، فلقّبوا بالزّنوج، وقد كانت الحرب بين العشيرتين قائمة، هذه الحرب التي منعتهم من رؤيّة البحر، ومنعت علي من التّعليم لسوء أحواله الماديّة، لكنّ ذلك لم يؤثّر على علاقة العائلتين، وتركّز الرّوايّة على حكايّة حبّ ساميّة للسّباق، ورغبتها في الفوز ورفع العلم الصّوماليّ عاليا في المحافل الدوليّة منذ أن كانت طفلة، هذا الحلم الذي اعتبرته بمثابة تحرير للنّساء الصّوماليات المسلمات وللنّساء عامة، تقول ساميّة: " كنّا سنقود تحرير النّساء، ثمّ تحرير بلدنا من الحرب، كنت على يقين من ذلك منذ أن شعرت بتلك الطّاقة الإيجابيّة تفيض منّي لتغيّر العالم،" (كاتوتسيلا، 2016: 61)، وتمثّل الرّوايّة صورة المرأة الإفريقيّة المسلمة الرّاغبة في الحريّة " العدّاءة ساميّة"، وأختها هودان الموسيقيّة والمغنيّة.

وساميّة بطلة الرّوايّة فتاة صوماليّة من مدينة مقديشو؛ هذه المدينة التي كانت تعاني من الحروب الأهليّة والصّراع الطّائفيّ، الذي اشتدّ بعد وصول جماعة الشّباب المتطرّفة، التي جنّدت حتّى الأطفال، وقبل ذلك خضت المدينة للاستعمار الإيطاليّ، وربّما لذلك انطلق منها الكاتب وجعلها موضوع روايته وساميّة تحلم منذ عامها الثّامن، بأن تصبح عدّاءة مشهورة، وقد صوّرها الكاتب كرمز للمقاومة والمكافحة من أجل تحقيق حلمها بالحريّة، وتحرير النّساء الصّوماليات، من سيطرة جماعة الشّباب المتطرّفين؛ الذين سيطروا على البلاد وفرضوا قوانين قاسيّة، وحرموا المرأة من حرّيّتها...، وكان عليّ صديقها سندها في حلمها إلى جانب والدها، وعليّ وساميّة من عائلتين مختلفتين ومتناحرتين وهما آخر العنقود في عائلتيهما، كانا يعيشان في بيتين صغيرين متقابلين، لكنّ الصّورة التي رسمها الكاتب الإيطالي لهذه العلاقة بين علي وساميّة والعائلتين

بصفة عامّة هي صورة إنسانيّة تنبذ الحرب والتمييز العنصريّ، ذلك التّعصّب الذي كان يلقّب عائلة عليّ بالزّنوج، ويطلق عليه بالدارودي القذر والحقير، وقد انطلق الكاتب من حقيقة ومعاناة واقعيّة عاشها المجتمع الزّنجي والأفارقة الذين عانوا كثيرا من العنصريّة تلك الممارسات غير الأخلاقيّة، "بحيث تمّ معاملتهم معاملة سيّئة، إذ سلبت حقوقهم، وتعرّضوا إلى التّمييز والتّهميش والاستبداد وقد تميّزت صورة المجتمع الزنجي بالفقر والحرمان والتّهميش بكلّ أنواعه حتى صار الحلم بأبسط الأمور صعبا." (كنتاوي، 2022 : 40-41).

وتظهر من خلال حديث ساميّة؛ رؤيّة الكاتب الأيديولوجيّة، إذ جعلها في معظم الأحيان معبّرة عن رأيه، إزاء الوضع الذي عرفته مدينة مقديشو بالتّحدي تقول ساميّة: "لقد كان علي محقا إذ لابد للأخوّة أن تجمع بيننا؛ رغم كلّ الخلافات؛ التي كانت سوف تُفرض على أفراد عائلتينا؛ الذين كانوا يعيشون في المنزل نفسه، ويتقاسمون عناء الحياة،" (كاتوتسيلا، 2016: 7) فقد طلب علي من ساميّة أن تكون أخته وقبلت، وكانا يركضان بحريّة، وساميّة تفوز دائما والرّكض يرمز إلى الحريّة وطلبها، فلن يكون التّحرّر دون القيام والسّعي، تقول ساميّة: "كنّا أحرارا، أحرارا، لنركض مجدّدا،" (كاتوتسيلا، 2016: 8)، والتّكرار يدلّ على الرّغبة في الحريّة والانعتاق، من الحرب، ومن الفقر...، ومن الغبار الذي كان يغطّي مقديشو، فعلاقتها متينة جدّا، الأخوّة عنوانها، تقول ساميّة: "منذ أن أتينا إلى هذه الدنيا، كنت أنا وعلي نتشارك الغذاء والحمّام، والأحلام والآمال،" (كاتوتسيلا، 2016: 10) رغم كون علي وساميّة من عشيرتين مختلفين بدأتا بالتّناحر قبل ولادتهما سنة 1991م بثمانيّة أسابيع، والتّعايش بين العائلتين كان أشبه بمعجزة في مقديشو، ضرب من الخيال، فالحرب قائمة والجدارن مليئة بالثّقوب التي أحدثتها طلقات الرّصاص، والقنابل التي هدّمت الجدران، لكنّ العائلتين لم تتفرّقا تقول ساميّة: "إذ ينبغي أن يكره بعضنا بعضا

كسائر أبناء تلك العشيرتين،" (كاتوتسيلا، 2016: 16) هذه الحرب التي قوّت العلاقة بين عليّ وساميّة؛ الحرب التي يلقبونها بشقيقتهم الكبرى.

ساميّة كانت تحبّ السّباق وهي صغيرةّ ، منذ أن كان عمرها ثماني سنوات "كنت أرغب في الفوز، لكنّي كنت أبلغ من العمر ثماني سنوات فقط، وكان الجميع يتشارك في السّباق، حتّى الكبار،" (كاتوتسيلا، 2016: 13) وكان حماسها شديدا جدّا، وهذا ما لاحظه فيها والدها يوسف منذ صغرها، وقد كان يعاملها بلطف شديد، تقول ساميّة: "يرفعني في الهواء بذراع واحدة، ثمّ يضعني في حضنه،" (كاتوتسيلا، 2016: 13) ويظهر من خلال قولها أنّه ورغم وجود الحرب وما خلّفته من فقر وبؤس شديد، إلّا أنّها لم تحرم من دفء العائلة؛ كان يقول لها: والدها الذي وثق بطموح ساميّة وشجّعها رغم أنّه يعرف أنّ مقديشو مقبرة الأحلام، لن ترحمها ولن تتركها تحقّق ما تطمح إليه، خاصّة أنّها امرأة وتحلم أن تكون عدّاءة، في بلد سيطرت عليه "جماعة الشّباب" المتطرّفة، والرّوائيّ من خلال رسمه لصورة وملامح ساميّة وعائلتها، تعبّر عن الوضع المأساويّ الذي تعيشه مدينة مقديشو، وبلد الصّومال عامة من أثر الحروب الأهليّة التي مزّقت وحدتها، وهي صورة بائسة، تقوم على التّشدّد والعنصريّة.

إنّ طموح ساميّة ورغبتها في تحقيق ما تصبو إليه كان كبيرا، فحين سألها والدها، كيف بإمكانها أن تسبق من هم أكبر منها سنّا، قالت: "بأن أعدو أسرع منهم، يوما ما سوف أصبح أسرع عدّاءة في مقديشيو بأكملها،" (كاتوتسيلا 2016: 15) أرادت أن تكون بطلة، ولم تبد اهتماما بالحرب، كانت تضع نصب عينها الفوز، تقول: "لم نكن أنا وعليّ نبدي أيّ اهتمام بالحرب، رغم أنّهم يتبادلون إطلاق النّار في الشّوارع، لم نكن نسمح للحرب أن تسلبنا الشّيء الوحيد المهمّ الذي نمتلكه؛ علاقتنا الودّيّة،" (كاتوتسيلا، 2016: 15) فالحرب سلبت منهم كلّ شيء، إلّا الأحلام حسب ساميّة، فقد سلبتهم رائحة البحر لأنّه

المكان المفضّل للميليشيات، تقول ساميّة: "سلبتني الحرب البحر، وفي المقابل ولّدت في داخلي الرّغبة في العدو، ..الجري هو بحري،" (كاتوتسيلا، 2016: 17) والرّكض هو السّبيل إلى الحريّة، وفي الرّوايّة إشارة إلى الاستعمار الإيطاليّ، الذي يظهر من خلال حديث ساميّة عن العلاقة التي تربط والدها يوسف بوالد علي ياسين، إذ عملا معا فترة الاستعمار الإيطاليّ، والصّورة التي رسمها الكاتب هنا لإيطاليا بلده، ارتبطت بمجموعة من الأمثال الشّعبيّة التي حملت طابعا إيجابيا، لم يشر إلى جرائم الاستعمار الإيطاليّ، بل أعطاه بعدا إيجابيا ارتبط بالتّسامح والإنسانيّة، كأنّه أراد أن يقول من أقوال ساميّة، أنّ الأخوّة الموجودة بين العائلتين ترجع لإيمانهما بالأمثال الشّعبيّة التي تعلّماها من الإيطاليين، جاء في الرّوايّة: "وتعلّما من أبويهما بعض التّعبيرات الإيطاليّة... نحن جميعا أبناء وطن واحد،" (كاتوتسيلا، 2016: 17) ومن خلال هذه العبارات وغيرها، يتّضح أنّ اهتمام الكاتب بقضيّة مقديشو، تحمل أبعادا إيديولوجيّة، لا تختلف كثيرا، عن رؤيّة الغرب المعاديّة للمسلمين عامة حتّى وإن غلّفت بطابع إيجابيّ تمثّل في صورة فتاة إفريقيّة مسلمة تسعى إلى تحقيق أحلامها.

كما تكشف الرّوايّة من خلال تصوريها لحالة ساميّة، وأختها هودان عن حالة اللّاستقرار التي تعرفها مدينة مقديشو؛ والتي أصبحت بسبب الصّراع الطّائفي والديني أشبه بقفص وسجن، وركّز الكاتب على جماعة الشّباب التي تجسّد صورة الإرهاب، هذا الوضع الذي حرم الأطفال من الدراسة، فعلي لم يدرس بسبب سوء أحواله الماديّة، إذ "التحق بالصّفّ الابتدائيّ في المعهد العام ثمّ انهار المعهد، بسبب القنابل،" (كاتوتسيلا، 2016: 18) والطّريقة الوحيدة للتّعليم التّسجيل في مدارس خاصّة، وقد استطاع والدا ساميّة وهودان إرسالهما إلى مدرسة خاصّة بفضل تضحيات كبيرة، لكنّ عليا لم يدرس بسبب وضع والده الماديّ، فسكان مقديشو يرفضون شراء الخضر والفواكه عنده، إذ يلقبون

والده ياسين ب "دارودي قذر"، وعلي كان يشعر بالدونيّة لأنّه لا يحسن القراءة والكتابة، إلى جانب سمعة عائلته السّيّئة في مقديشيو، وكانت هودان أخت ساميّة تحاول أن تعلّمه القراءة لكنّه لم يستطع، والصّورة التي رسمها الكاتب لساميّة وهودان، هنا تحمل رسالة إنسانيّة هي رفض التّعصّب والتّطرّف، إلى جانب التّعاون والتّآزر بين أبناء الوطن الواحد، قال يوسف لساميّة وعلي: "تعاهدا، أنت يا ابنة قبيلة أبجال، وأنت يا ابن قبيلة دارود على أن تعيشا–دائما في سلام، وأن لن يكره أيّ منكما الآخر أبدا، وأنّكما لن تكرها سائر القبائل مطلقا،" (كاتوتسيلا، 2016: 46) وفي ذلك دعوة وإصرار على توطيد علاقة الأخوّة بينهما، ورفع شعار السّلام، فالأب يرفض الحرب وينشد السّلام، جاء في الرّوايّة: " الحرب ثمرة كراهيّة....، أتدرون أنّنا جميعا إخوة صوماليون، بغضّ النّظر عن العرق والعشيرة." (كاتوتسيلا، 2016: 46).

وقبل السّباق السّنويّ حاولت ساميّة أن تتمرّن وتجري مع علي، رغم الحرب والخطر الكبير الذي قد تواجهه بسبب تأزّم الوضع في مقديشو، وكانت مغامرة منهما، تقول ساميّة: "كان عليّ قد طلب منّي أن أرتدي الحجاب، لكنّني لم أرغب في ذلك،" (كاتوتسيلا، 2016: 24) قد رفضت ساميّة ارتداء الحجاب الذي فرضته جماعة الشّباب، التي بدأت في تجنيد الأطفال لتدريبهم على الجهاد، ورفضها يحمل رؤيّة أيديولوجيّة للكاتب، تقول ساميّة حين لاقت جنديين من جماعة الشّباب: "كانت نظرتهما توحي بخيبة الأمل، فأدركت أن ملابسي وراء ذلك؛ سروال قصير وسترة خفيفة، فلم أرتد الحجاب، ثمّ أنّ عليّا كان من أبناء عشيرة دارود فهي من الزّنوج،.. وجماعة الشّباب تتوهّم أنّها تنحدر من أصول عربيّة،" (كاتوتسيلا، 2016: 27) فعليّ مجرّد دارود قذر حسبهم، وحين ذهبا، قال عليّ عن الميليشيات: "إنّهم تحت تأثير القات... إنّه المخدّر المقزّز، الذي يعطيه أفراد جماعة الشّباب لرجال الميليشيات، يتناولونه ثمّ يذهبون لإطلاق النّار،" (كاتوتسيلا، 2016: 31) فربط جماعة الشّباب في

الرّوايّة بالإسلام أوّلا، ثمّ العرب ثانيّة، يحمل عداء للعرب والمسلمين، فالشّاذ يحفظ ولا يقاس عليه، وشتّان بين ما يقوم به جماعة الشّباب في مدينة مقديشو وبين ما يدعو إليه القرآن الكريم، كي لا نبتلع الطّعم المسرّب داخل الرّوايّة وهو رفض الحجاب وتعاليم القرآن الكريم، من خلال استغلال حلم طفلة بأن تفوز في سباق، وتظهر هذه الصّور في أكثر من موضع؛ جاء في الرّوايّة: "اللّحيّة إحدى سمات الأصوليين"، لذا يقصّ والدها لحيته، وغيرها كثير، حاول الكاتب كغيره من الكتاب الغربيين التّركيز على هذه الصّورة عن الآخر العربيّ المسلم والذي جسّده في صورة جماعة الشّباب المتطرّفين، بينما الاستعمار الإيطالي ظهر من خلال كلام ساميّة، ووالدها كمثل أعلى يحثّ على السّلام، لكنّ المثل العليا موجودة في قرآننا الكريم الذي رفض التّعصّب والعنصريّة ودعا إلى الأخوّة.

لقد ربط الكاتب سباق ساميّة بالتّحرّر من الحرب، تقول ساميّة:" أفوز، كي أثبت لنفسي وللجميع، أنّ الحرب بإمكانها أن توقف بعض الأشياء، وليس كلّها،" (كاتوتسيلا، 2016: 48) وقد وثق والدها بها محاولا إزالة التّوتّر عنها وكان طموحها كبيرا، أن تشارك في الألعاب الأولمبيّة، عندما تبلغ السّابعة عشر من عمرها، وفي الأولمبياد، أحلامها كبيرة، جدّا لم تمنعها الحرب أن تركض، قال لها والدها: "أنت محاربة صغيرة، تركضين من أجل الحريّة" (كاتوتسيلا، 2016: 60) هذا السّباق والحلم بالفوز، يرتبط ببعد آخر صرّح به الكاتب عبر لسان شخصيات روايته في كلّ مرّة؛ حتّى بعد وفاة يوسف، بقي راسخا في ذهن الطّفلة ساميّة التي آمنت بما قاله لها والدها يوما: "إنّك ذات يوم تقودين تحرير النّساء الصّوماليات من العبوديّة؛ التي قدّرها عليهنّ الرّجال ستكونين قائدتهنّ، يا محاربتي الصّغيرة،" (كاتوتسيلا، 2016: 50) وقد تأثّرت بكلمات والدها في كلّ سباق، واعتبرت الفوز هو تحرير لشعبها والنّساء المسلمات، وفازت بالسّباق، لكنّ السّؤال الذي يطرح نفسه، ما العلاقة بين

تحرير النّساء والشّعب والفوز في السّباق؟، جماعة الشّباب فرضوا البرقع والحجاب، وهمّشوا المرأة، وارتداء ساميّة للزيّ الرّياضيّ والمشاركة في السّباق من المنظور الغربيّ هو تحرّر، من منطلق العداء للإسلام، والدليل أيضا قول رجل لساميّة: "في منتصف الطّريق، أوقفنا رجل عجوز، ذو لحيّة طويلة وعظام وجهه ناتئة، بعد أن نظر إليّ بخيبة الأمل، أخذ يردّد العبارات نفسها: أين الحجاب والديريك، ها أيّتها الطّفلة؟ هل نسيت أن ترتدي ثيابك اليوم؟" (كاتوتسيلا، 2016).

ورغم ذلك فقد صوّر لنا الكاتب صورة إيجابيّة للبطلة ساميّة العدّاءة التي تسعى لتحقيق طموحها، رفقة أختها هودان التي كانت تحلم أن تغنيّ أناشيد الحريّة؛ بصوتها العذب في بلدها، ساميّة التي كانت تتّخذ محمد فرح، العدّاء الذي غادر مقديشو صغيرا إلى إنكلترا لتحقيق حلمه مثلا أعلى للنّجاح، تقول ساميّة: "كان العنوان في الجريدة يؤكّد أنّه أصبح بطلا، وأنّ الصّومال قد دفعته للفرار منها،" (كاتوتسيلا، 2016: 57) ورغم أنّها أعجبت بما حقّقه، وظلّت محافظة على جريدة تتحدّث عن فوزه، إلّا أنّها رغبت بتحقيق طموحها وتجسيده في وطنها الصّومال؛ إذ أرادت مع أختها أن تكون رمزا للمرأة المقاومة، المتحرّرة، الرّافضة للعبوديّة، ولسيطرة جماعة الشّباب، لكنّ تحقيق ذلك في واقع مأساويّ عرفتها بلادها، مستحيل رغم عدم استسلامها ومواصلتها تقول: "يوما ما سأتمكّن من الفوز بالأولمبياد، وستصبح هودان مغنيّة مشهورة وستكتب أنشودة: لتحرّر شعبنا، شرط أن تقوم بذلك في الصّومال على عكس محمد فرح،" (كاتوتسيلا، 2016: 60) لكنّ حلمها اصدم بالواقع المرّ.

أدرك عليّ أنّ ساميّة لن تتمكّن من تحقيق طموحها في بلدها، فبدأ بحثّها على الهجرة، وأخبرها بأنّ أحد أصدقاء أخيه الذي خاض مغامرة الرّحلة أخبره" أنّ بلدان شمال أوروبا يعطونك منزلا وراتبا، إذا كنت لاجئ حرب، ...ولكن بالنّسبة لعلي كانت إنكلترا تمثّل أرض الفرص، وأنّ الجوّ هناك ليس شديد

البرودة،" (كاتوتسيلا، 2016: 72) وقد كان علي يحفّزها للمغادرة إلى إنكلترا ويطلب منها أن تتزوّج محمد فرح،... كانت غاضبة وصفعته، أرادت أن تبقى في بلدها، ومعظم المنافسات التي خاضتها كانت تتحصّل على المرتبة الأولى تقريبا، تقول: "كنت أريد أن أصبح أسرع عدائيّ الصّومال، ما يعني الذّهاب للعدو في الشّمال، في هرجيسا" (كاتوتسيلا، 2016: 86)، فالشّمال أعلن استقلاله، حيث كانوا يكرهون الحرب، بنما مدينة مقديشو ظلّت تعاني خاصّة بعد أن قويت شوكة "جماعة الشّباب"، الذين أوهموا النّاس عن طريق فتح المحاكم الإسلاميّة أنّهم يريدون إنهاء الحرب، ولكن في الواقع لم تكن تلك المحاكم إلّا قناعا لتحقيق مصالح الأصوليين والوصول إلى الحكم، وتمتين القاعدة الإرهابيّة؛ التي لا علاقة لها بالإسلام، وهذا مالم تركّز عليه الرّوايّة و"في غضون أسابيع قليلة باتت الحياة في المدينة مستحيلة، خاصّة بالنّسبة للنّساء،" (كاتوتسيلا، 2016: 86) ومنعت الموسيقى تماما وفرض البرقع على النّساء، "فسماع أي نوتة خارج المنزل، سيتمّ إعدامهم،" (كاتوتسيلا، 2016: 86) وقد تمّ إجبار الرّجال على ارتداء السّراويل الطّويلة، أغلقت دور السّينما لأنّها تغذّي العقول والأحلام حسب ساميّة، فتحوّلت مقديشو إلى مراكز للتّدريب، "نجحت جماعة الشّباب" في أن تقضي على أمل شعب بأكمله، لقد قضي على الحلم والأمل والحريّة في خطوة واحدة،" (كاتوتسيلا، 2016: 88) سلبت منهم الحريّة، فهودان لم يعد بإمكانها أن تنشد أناشيد الحريّة والسّلام قال لهما والدهما: "عليكما أن تعرفا أنّ ما تفعلانه محفوف بالمخاطر، وغير مرحّب به،" (كاتوتسيلا، 2016: 90) وقد اتّخذت قرارات صادمة؛ لم يعد للزّواج المختلط مكان، فوجدت هودان نفسها مضطرّة لاتّخاذ قرار مؤلم، إذ تركت زوجها، وافترقت ساميّة عن علي بفعل هذا القرار، وكان تدريبها في تلك الظروف مستحيلا بعد فرض البرقع، ومع ذلك كانت تذهب خفيّة وينتظرها والدها؛ لتتدرّب استعدادا لسباق هرجيسا، وسافرت أخيرا إلى الشّمال، مرتديّة

الزّيّ الرّياضيّ، تقول ساميّة: "نزلت من الحافلة، ينتابني إحساس غريب بأنّني موجودة في بلد يعيش في سلام." (كاتوتسيلا، 2016: 105).

وتصوير ساميّة لبلاد الشّمال ومقارنتها بين بلدها وبينه، يحمل حزنا عميقا وحسرة من وضع بلدها، وفي نفس الوقت رغبتها في الفوز في بلاد الشّمال رغم الحرب؛ تحمل دلالة الرّغبة في التّغيير، تقول ساميّة واصفة المكان الذي هاجرت إليه: "عدم وجود عناصر أمن في المحطّة، عدم وجود آثار البنادق والثّياب المموّهة، وعدم وجود ثقوب في الجدران، بفعل الطّلقات النّاريّة، كنت في حيرة، مثل الحيوان الذي قضى كلّ حياته داخل قفص، ثمّ تُرِك له الباب مفتوحا فجأة؛ ليصبح حرّا،" (كاتوتسيلا، 2016: 105) فالمدينة التي زارتها تعيش في سلام؛ لا أثر لمظاهر الحرب، وقد كان الرّكض عند ساميّة، وهي تتذكّر صوت والدها وعليّ "بمثابة التّحرّر من الطّغاة" (كاتوتسيلا، 2016: 108)، دائما يكرّر الكاتب هذا على لسان ساميّة، وقد فازت في كلّ السّباقات وهي في السّباق "رأت مقديشو من جديد كالقفص؛ الذي تمكّنت–أخيرا–من الفرار منه، كي أركض بحريّة"(كاتوتسيلا، 2016: 109)، وقفزت وصرخت بحريّة، هذه الحريّة التي سلبت منها بعد سيطرة جماعة الشّباب، تقول ساميّة: "هنا كنت أستطيع القفز والفرح، في سلام، كما كان يمكنني أن أبتسم أيضا كنت أبتسم للجميع، مصافحة كلّ من يقترب منّي،" (كاتوتسيلا، 2016: 110) ثمّ عادت إلى مقديشو بالحافلة مرّة أخرى، بعد أن ذاقت طعم الحريّة والأمن والسّلام، والحياة ستكون أمرّ بعد هجرتها الأولى خارج مقديشو، وقد فرح بفوزها أهلها، وجيرانها، تقول: "سأفوز في الأولمبياد؛ وحينئذ سأقود بحقّ تحرير النّساء المسلمات،" (كاتوتسيلا، 2016: 112) وبعد وفاة يوسف، بدأ الخوف يتسرّب إلى قلبي ساميّة وأختها، وأصبحتا تنامان مع والدتهما، كانت تتذكّر قول والدها:" أنت محاربة صغيرة تركضين من أجل الحريّة، بفضل قواك الخاصّة

ستخلّصين شعبا بأكمله،" (كاتوتسيلا، 2016: 115) نفس الصّورة دائما تحقيق الفوز في السّباق، وتمثيل البلد، هو تحرير للنّساء المسلمات.

وذات يوم قدم مبعوث من اللّجنة الأولمبيّة يدعى زاسّان عبد الله؛ يسأل عن ساميّة بعد أن علم بالانتصار الذي حقّقته في هرجيسا؛ ليخبرها أنّ عبيدي بيليه شخصيّا، وهو من أعظم أبطال الثّمانينيات يريد أن يتعرّف عليها، وأخذها معه بعد موافقة هودان، ووالدتها، وبعد التعرّف عليه؛ اتّجهت بالزيّ الصّوماليّ الأزرق، ودون أن تدفع ثمن التّذكرة إلى جيبوتي كهجرة ثانيّة من مدينتها "كنت أرتدي لون بلدي، اللّون الأزرق المميّز للسّماء والبحر،" (كاتوتسيلا، 2016: ص122) وفي أوّل سباق لم تحقّق الفوز حققت المركز السّادس من أصل ثمانيّة، لكنّها تذكّرت قول ولدها: "لا تقولي إنّك خائفة، يا صغيرتي ساميّة،" (كاتوتسيلا، 2016: 124) لم تكن محظوظة، بينما هودان كانت أكثر حظّا "في أوائل كانون الأوّل، ديسمبر من عام 2007م، تمكنت من الصّعود على زورق قديم، انطلق من ميناء طرابلس، وأوصلهم إلى سواحل مالطا، كانت قد وصلت كانت تمكنت من هزيمة الوحش، كانت في أوروبا،" (كاتوتسيلا 2016: 134) والوحش هم جماعة الشّباب، والهجرة إلى بلاد أوروبا هي التي حقّقت لها الحريّة–حسب رؤيّة الكاتب–، تاركة بلدها، ومتخليّة عن حلمها؛ بأن تنشد أناشيد الحريّة والسّلام.

لكنّ ساميّة مازالت متمسّكة بعلم بلدها، وبأن ترفعه عاليا، وبعد ثلاثة أسابيع من مهاجرة هودان، تلقّت ساميّة دعوة من راسّان لتشارك في الأولمپياد، وهذا كتجربة لها لتخوض الألعاب الأولمپيّة التي ستقام في لندن 2012م، وقد أصبح عبدي سعيد إبراهيم أفضل أصدقائها، ورفيقها في التّدريب، ورغم أنها مسجّلة في لجنة الأولمبيّة، لم تكن تسطيع أن تتدرّب دون حجاب، تقول ساميّة: "كان يجب عليّ الرّكض، وأنا مغطّاة، كان يجب عليّ احترام تعاليم القرآن الكريم، وتغطيّة رأسي وجذعي وأطرافي،" (كاتوتسيلا، 2016: 137)

والصّورة التي رسمها الكاتب لساميّة لا تختلف عن السّابقة، وهي أنّ ساميّة تريد التّحرّر أيضا من الحجاب، إلى جانب رغبتها في ممارسة رياضتها المفضّلة بحريّة، أرادت أن تصرخ وتقفز، وأن تصافح من تشاء، حسب تعابير ساميّة حين هاجرت في المرّة الأولى والثّانيّة خارج مقديشو، لكنّها في هجرتها إلى بكين لم تحقّق الفوز وعادت خائبة إلى وطنها، وقد رأت بعدها محمد فرح الذي لم يكلّمها، لكنّها تمكّنت من رفع العلم الصّوماليّ، والتقّت الصّحافة الغربيّة حولها، وكتبت عن الشّابة الصّوماليّة التي جاءت من بلاد الصّومال، وقاومت كلّ الظّروف لتحقّق حلمها، وانبهار ساميّة بالآخر الغربيّ وبحضارته كان واضحا في أكثر من مناسبة، لم يختلف عن سفرها الأوّل، وهذا يكشف عن تخلّف بلدها الإفريقيّ (الصّومال)، وقد تلقّت ساميّة الرّسائل من النّساء المسلمات، "من نساء مسلمات كنّ قد اخترنني لأكون بطلتهنّ، ومثلهن الأعلى عشرات مئات الرّسائل. كلّ أسبوع، كانت تصل واحدة مكتوبة بالحبر، وبعضها بالآلة الكاتبة عن غير قصد، كنت قد أصبحت أسطورة لآلاف النّساء، اللّائي كنّ قد رأينني دون حجاب عبر شاشات التلفزيون، في جميع أنحاء العالم، في تلك الرّسائل – التي كانت تصل من دولة الإمارات العربيّة المتحدة، والمملكة العربيّة السّعوديّة، وأفغانستان وإيران – كان هناك شغف لا حدود له، أمل أحلام، ثقة، كنت قد أصبحت رمزاً في عيون العالم"، (كاتوتسيلا، 2016: 158) فقد أصبح اللّعب والرّأس مكشوف رمزا للنّساء المسلمات، هذا تشويه لصورة الإسلام، لم يعد الأمر مجرّد سباق وحلم طفلة للفوز، لقد حمل الخطاب رؤيّة أيديولوجيّة معاديّة للإسلام.

وكانت ساميّة تتصل بهودان من خلال هاتف سعيد، وهودان استقرّت بمالطا، وتزوجت من فتى صومالي وزقت بابنة، وحقّقت أحلامها حين هاجرت

وتركت بلدها، وفعلت مثل محمد فرح، وقد "وفّرت الحكومة والمنظّمات الإنسانيّة لهما سكنا" (كاتوتسيلا، 2016: 138) في مالطا، وقد قررّ هودان وعمر أن يسافرا إلى الشّمال حيث تمنح للّاجئين عنايّة أكبر، وهذا تصوير للغرب بصورة إنسانيّة، وفي مقابله تصوير العرب والمسلمين بصورة لا إنسانيّة وتمثيلها بجماعة الشّباب التي لا علاقة لها هي والإرهاب بديننا الإسلاميّ، وما الحجاب إلّا سترة للمرأة وحفظ وصون لها من الذّئاب البشريّة، ولقد تعرّفت ساميّة على صحافيّة أمريكيّة؛ تتابع الرّياضة في بلدان غرب أفريقيا، كانت تُدعى تيريزا كروغ، كانت تقول لها أنّها تملك موهبة، وعليها مغادرة هذه البلاد فهي تعرف مدرباً في أديس أبابا، في إثيوبيا، لكنّ ساميّة مازالت متمسّكة بحلمها وحلم والدها، وتمثيل الصّومال بالزّيّ الوطنيّ، وتحرير النّساء الصّوماليات، وظلّت محافظة على وعدها لوالدها حتّى يوم لاقت عليا؛ الذي أخبرها بجريمته، وأنّه انضمّ إلى جماعة الشّباب وتسبّب في مقتل والدها والأبرياء بالغصب، ولطالما كان توأم روحها، يومها قرّرت الهجرة وترك بلد حوّل أعزّ أخ لها إلى وحش، فمات والدها؛ الذي كان يمثّل وطنها، لم تعد ترغب في البقاء، تقول: كان أبي هو الصّومال، لكنّ الصّومال – الآن – كانت قد ماتت، ذُبحت على يد أخي،" (كاتوتسيلا، 2016: 169) يومها أدركت أنّ هودان كانت على صواب، ندمت على بقائها، اتصلت بتيريزا في أمريكا،"وقرّرت الذهاب إلى أديس أبابا"، فهاجرت مرّة أخرى لكنّها تحمل كرها عميقا لبلد قتل والدها، بينما البلد الغربيّ صوّره الكاتب بأنّه أكثر إنسانيّة ويظهر هذا حين وصف حياة هودان الجديدة السّعيدة: التي " كانت قد انتقلت هي وزوجها عمر ومنار إلى هلسنكي، وسرعان ما قامت الحكومة هناك بتوفير منزل وراتب شهري لهم" (كاتوتسيلا، 2016: 171).

وحين وصلت ساميّة إلى أديس أبابا لم تجد راحتها، رغم عدم وجود الحرب كانت تعمل طويلا، وتحصل على مال قليل؛ معاناة كبيرة لأجل تحقيق حلمها ومدرّبها إشيتو، يدرّبها قليلا في اللّيل بسبب خوفه، فهي مهاجرة غير شرعيّة× لا تمتلك مستندات تثبت أنّها رياضيّة، بقيت لشهر ونصف، بدون عدو والتّدريب في اللّيل أزعجها، فما الفرق بين بلدها وبين حالها الآن؟، تقول ساميّة عن العدوّ في اللّيل وعن وضعها الذي لم يختلف: "في اللّيل مجدّداً وحدي مجدداً، كان ذلك أبعد ما كنت أتمنّاه عندما قرّرت الرّحيل.من جديد كان عليّ أن أقوم بكلّ شيء في الخفاء، إلا أنّ هذه المرّة كانت الأمور أسوأ. فلم أعد في بلدي، بل كنت أجنبيّة، بلا مستندات وبدون جواز سفر" (كاتوتسيلا 2016: 181)، فالمرأة المهاجرة الصّوماليّة غير مرغوب بها في بلد الآخرين تحمل صورة المهاجرة غير الشّرعيّة، والتّدريب ليلا لا معنى له؛ فكيف تنافس الآخرين، لذا رغبت أن تترك هذا البلد أيضا، تقول ساميّة: "وأوقدت في داخلي الرّغبة في الفرار للأبد، من وضع التّهريب ذلك.رويداً رويداً، يوماً بعد يوم بدأت تتكوّن في داخلي الرّغبة في اللحاق يهودان إلى فنلندا، والعثور على مدرّب جيّد، في مكان، لا يكون وضعي فيه غير قانوني" (كاتوتسيلا، 2016: 186)، وهكذا بدأت رحلتها مرّة أخرى لتحقّق حلمها، بحثت عن مهربّي البشر لتلحق أختها، وركبت مع اثنيْن وسبعين شخصًا في سيارة رباعيّة الدفع، أين عانت معاناة حقيقيّة، وصلت إلى الخرطوم، ثمّ تمكّنت رغم كلّ المصاعب الاتّصال بأختها، و"قبل أن تنهي المكالمة ذكرتني بألا أخشى شيئا"لا تقولي – أبداً– إنك خائفة، يا ساميّة" (كاتوتسيلا، 2016: 205) ومن الخرطوم ذهبت معهم إلى طرابلس، تقول ساميّة: "كان ينقصني الهواء، حتى في أحلامي، كنت قد فقدت هويّتي، كما كنتُ أجد صعوبة في أن أتذكّر من أنا، وكانت الذّكريات تطفو على السّطح كالبرق الخاطف؛ عندما كانت تريد ذلك، ولكن ربما ما كنّا عليه في أعماقنا لا يمحى،" (كاتوتسيلا، 2016: 207) هذه صورة المهاجرة

التي تترك وطنها بحثا عن السّلام بدون وثائق، تهرّب عن طريق مهربّي البشر في ظروف قاسيّة جدّا، وعرضة للاستغلال والنّهب والاغتصاب، تقول ساميّة:" كنت أفكر في بكين، في الأيام السّعيدة، في صباح ذلك اليوم الأول في الفندق أمام هيئة الإذاعة البريطانيّة .(BBC) كنت أفكر في التّصفيق، والنّاس الواقفين الذين يهتفون باسمي، كنت أركّز في أولمبياد لندن المقبلة، وكنت أشجّع نفسي بهذه الطريقة فقط،" (كاتوتسيلا، 2016: 212) لتحمّل مشقّة الهجرة السّريّة وأخطارها.

وقد كانت تريد أن تخفّف عن نفسها، تبحث عن أمل يداعبها؛ لعلّها تنسى معاناة الطّريق وصندوق السّيارة الذي يختبئون فيه، وصلوا إلى ليبيا، تقول: "وكان القانون في ليبيا أشدّ قسوة، فقد حمّلونا على حافلة صغيرة، وأوصلونا إلى سجن كفرة، هناك كان ينتظرنا الكابوس الأسوأ، كلّنا كان يعلم ماذا كان سجن كفرة، قد تبقى في ذلك المكان إلى الأب"، (كاتوتسيلا، 2016: 216) وكانوا يطالبونهم بالمال ويعاملونهم كالحيوانات، ويعذّبونهم، وظلّت كذلك حتّى وصول أموال هودان، أين قدّمت الأموال للمهرّبين، تقول ساميّة: أخيراً كان بإمكاني الذّهاب، كان بإمكاني ترك الكفر،" (كاتوتسيلا، 2016: 221) والرّحلة كانت هي الأخرى مأساة تكشف معاناة المهاجرين، ودائما تخفّف عن نفسها بحلم فوزها في السّباق، لكنّها زجّت مرّة أخرى في السّجن وطلب من الجميع تقديم المال مجدّدا خداع آخر، ومأساة أخرى، فاضطرت إلى الاتصال بأهلها وإخوتها، فإن لم تقدّم المال يغتصبوها مثل زميلتها تاليا، وهكذا قدّمت لهم المال وعاشت في طرابلس ما يقارب الشّهر في حي الصّوماليين في انتظار الإبحار إلى إيطاليا، و"كانت طرابلس هي ملتقى الأشخاص كافة ذوي الأوضاع غير القانونيّة، كانت هناك نيجيريات كونغوليات صوماليات، إثيوبيات، سودانيات ونساء أخرى من ناميبيا غانا، توگو، ساحل العاج بيافرا، ليبيريا بالغات مراهقات فتيات أطفال كبار سن كلهن مجتمعات،" (كاتوتسيلا، 2016: 230)

لم تكن الشّرطة تعاملهم بشكل سيّئ لكن، كان يجب عليها أن تحقّق حلمها بالسّفر إلى إيطاليا، عبر زوارق الموت، في المرّة الأولى لم يتمكنوا من المغادرة، ثمّ بعد ذلك أعادوا المحاولة، وكانت معها العمّة مريم التي شجّعتها كثيرا، وقد تعرّض قاربها إلى خطر بفعل الأمواج، وكانت تردّد وهي في البحر نشيد الحريّة، وتتذكّر قول هودان عن الحلم، وفجأة ينقذها شخص، ويرفعها على متن قارب إيطاليّ، وحقّقت ساميّة طموحها، ووصلت إلى روما، ومن روما إلى لندن، تقول ساميّة: "كان ينتظرني محمد فرح شخصياً، برفقة مدرب وفي غضون أسابيع قليلة، أصبحت قويّة، كما كنت من قبل، بل وأكثر. اركضي، يا ساميّة، اركضي، كما لو كنت لا ترغبين في الوصول إلى أي مكان تمكنت – بمعجزة – من التأهل إلى أولمبياد لندن 2012، كدت ألمس السّماء بيدي، من شدة فرحي. لم أشعر بسعادة مماثلة" (كاتوتسيلا، 2016: 30)، وهكذا حقّقت العدّاءة ساميّة حلمها، حرّرت نفسها، لكنّها توفيت في البحر المتوسط في 2 أبريل 2012، أثناء محاولتها الوصول إلى الحبال الملقاة من إحدى القوارب الإيطاليّة، أمّا محمد فرح فقد فاز بسباقي 5000 متراً و10000 متراً؛ ليصبح بطلاً قومياً، في إنگلترا والصّومال. (كاتوتسيلا، 2016: 253).

ويظهر من خلال عرضنا لمعاناة ساميّة أثناء هجرتها غير الشّرعيّة حسب أحداث الرّوايّة، أنّ الكاتب رسم صورة الأنا الإفريقيّ المسلم بأنّه إرهابيّ ومغتصب ومادّيّ وسجّان، يعامل النّساء والمهاجرين معاملة قاسيّة وهذا ما ظهر في عرضه لمعاناة النّساء الإفريقيات في ليبيا وطرابلس، بينما صورة الغرب إيطاليا وإنگلترا خاصّة رسم لهما صورة إيجابيّة إنسانيّة تساعد المهاجرين وتهتمّ بالنّساء وتحقّق لهنّ حريتهنّ التي حرمهن منها جماعة الشّباب المتطرّفين، ولم يكتف بذلك فقد عبّر من خلال شخصيّة ساميّة خاصّة عن رفض الحجاب والتّرغيب في مصافحة النّساء للرّجال وأشياء أخرى ذكرناها سابقا، تنتمي إلى تعاليم وقيم المسلم، وهذه الصّورة تحمل نظرة عداء وحقد

دفين للمسلمين الأفارقة، وحتّى للعرب، بما أنّه أشار في الرّوايّة بأنّ أصل جماعة الشّباب يعود حسبهم إلى أصول عربيّة، أمّا صورة المرأة الإفريقيّة المسلمة التي رسمها الكاتب فهي المرأة البائسة، التي تعاني من التّهميش في مجتمع ذكوريّ، تحرم من ممارسة حرّيتها، وقد ربط هذه الصّورة بالجماعة المتطرّفين، هذه الأخيرة ربطها بالإسلام، في حديثه عن دعوتهم لارتداء البرقع والحجاب، وفي المقابل سعي النّساء إلى التّحرّر من كلّ ذلك، وشتّان بين الإسلام وبين هذه الجماعة المتطرّفة، ومع ذلك فإنّ الرّوائيّ من الواقع وقد أقرّ بأنّه سمع الأحداث من هودان أخت ساميّة وزميلتها في السّجن في ليبيا ولم يصرّح باسمها لكونها خائفة من الشّرطة اللّيبيّة، ومقارنة بالرّوائيين الغرب الرّوائي حاول أن يكون موضوعيا في نقله، خاصّة في انطلاقه من الواقع.

4. خاتمة: وما يمكن قوله في الأخير إنّ الكاتب الإيطاليّ –جوزيه كاتوتسيلا، رسم لنا في روايته "لا تقولي إنك خائفة" صورة عن المسلم حسب رؤيته الأيديولوجيّة الغربيّة، المرتبطة بأفكار الغرب خاصّة المعاديّة للعرب والمسلمين، خاصّة أنّه أشار إلى أنّ جماعة الشّباب المتطرّفين من أصول عربيّة، كما رسم لنا صورة بائسة عن وضعيّة المرأة الصّوماليّة المسلمة سواء قبل الهجرة من وطنها أم بعد الهجرة، ورغم نظرة العداء التي تجلّت في لغة السّرد ضدّ الإسلام، وتشويه صورة الحجاب، إلّا أنّ الكاتب توخّى نوعا من الموضوعيّة والصّدق في بعض ما عرضه، حول رسمه لصورة معاناة الشّعب الصّوماليّ، وأهل مدينة مقديشو خاصّة، من جرّاء الحروب التي فرّقت أبناء الوطن الواحد، ولو أنّه ركّز على جماعة الشّباب المتطرّفة وأثرها، ناسيا آثار الاستعمار الإيطاليّ، الذي راح يحسّن صورته، من خلال ذكر بعض الأمثال الإيطاليّة التي تدعو للسّلام والاتّحاد، وقد رسم لنا صورة عن المرأة الإفريقيّة المسلمة قبل الهجرة من بلدها، أين كانت تعامل معاملة قاسيّة، إذ سلبت منها حرّيتها، في مجتمع ذكوريّ، من خلال شخصيتي ساميّة العدّاءة، وأختها هودان

الموسيقيّة، وقد صوّر رغبتهما في تحقيق أحلامهما، والسّعي وراءها بمثابة تحرير لشعب الصّومال والنّساء المسلمات جميعا عبر العالم، لكنّ تصويره حمل نظرة عدائيّة للمسلمين من خلال تكرار بعض التّعابير التي تمقت الحجاب، وتدعو إلى التّحرّر، كالنّساء الغربيات...، فلم يكن الكاتب يهدف إلى رسم صورة امرأة تحقّق حلمها فقط، وإنّما اتّجهت رؤيته إلى أبعاد مضمرة؛ لا تختلف كثيرا عن الكتاب الغربيين الآخرين، فلا يجب علينا أن نبتلع الطّعم فالتّخلّي عن البلد وجعل إيطاليا وإنگلترا وأوروپا عامة بلاد السّلام والأمن التي تحقّق أحلام اللّاجئين لا أساس له من الصّحة تماما، والواقع يثبت ذلك، والدليل أيضا هو المقارنة التي تتجلّى من خلال وصفه لمعاملة اللّيبيين السّيّئة للّاجئين، بينما أوروبا عاملت هودان وساميّة ومحمد فرح معاملة جيّدة ووفّرت لهم الحمايّة والأمن والحريّة.

5.قائمة المراجع:

- الحمامصي، محمد. (2021، سبتمبر 11). روايات غربيّة تصور العرب والأفارقة مهووسين بالجنس والعنف واللذة، النّاقد المغربي محمد المسعودي يتابع تأثير المركزيّة الأوروبيّة في الرّوايّة. العرب. https://arab-scholars.com/72e47f
- العودات، حسين. (2014). *صورة العرب لدى الآخر في ضوء العلاقات التّاريخيّة*. دار السّاقي.
- تيسمبال، شهيناز. (2022). صورة المرأة الغربيّة في الرّوايّة المغاربيّة نماذج مختارة، الجزائر، المجلد 10، العدد. *مجلة الحكمة للدراسات الأدبيّة واللّغويّة*، *10*(1) 126-143. https://arab-scholars.com/fe5f7e
- شحاتة، حسن. (2008). الذات والآخر في الشّرق والغرب، صور *ودلالات وإشكاليات*. دار العالم العربي.
- عطيّة، نسرين، وكنتاوي، أحمد. (2022). الأدب الإفريقي وتجليات الوعي بالذات ورفع العقيرة بالمظالم الإنسانيّة والثّقافيّة. محاورات في *الادب والنّقد*، *2*(2)، 39-50. https://arab-scholars.com/a7bda4
- كاتوتسيلا، جوزيه. (2016). لا تقولي إنك خائفة (معاويّة، عبد المجيد، مُترجِم). منشورات المتوسط ميلانو. (العمل الأصلي نشر في 2016).